القراءات القرآنية
وأثرها في تفسير القرآن الكريم

الدكتور/ مصباح الله عبد الباقي*

أثر القراءات القرآنية في تفسير القرآن الكريم:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى قد أكرم هذه الأمة بالقرآن الكريم ذلك الكتاب الخالد الذي تكفل بحفظه، والذي يقول فيه "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"[1] ومن حفظ الله سبحانه وتعالى له أنه سخر لخدمته جهابذة الأمة، فتفانوا في ذلك، ودونوا كل ماله صلة به، فظهرت علوم شتى، وفنون عديدة نتيجة الجهود الجبارة التي بذلوها لخدمة كتاب ربهم جل وعلا، ومن أهم هذه العلوم "علم القراءات القرآنية"، فقد أفنى العلماء أعمارهم في تدوينه وتنقيحه، ودونوا فيه كل ما يتعلق بنص القرآن الكريم وأداء حروفه وضبط كلماته، فكانت حصيلة هذه القرون الطويلة من الجهود المضنية آلاف من الكتب التي تناولت القراءات القرآنية من وجوه مختلفة وزوايا متعددة.

وتنوعت فوائد القراءات القرآنية وآثارها بنوعيها المتواترة والشاذة، وقد بين العلماء هذه الفوائد والآثار إجمالا، وكان من أهمها أنها اعتبرت وسيلة من وسائل التفسير ومصدرا من مصادره.

وقد أردت في هذه الوريقات أن أتعرض لهذا الجانب المهم من هذا الموضوع، وأبرز هذه الفائدة، وأدرس ذلك الأثر في ضوء مناهج العلماء المعتمدين من المفسرين، فإن كان فيه من صواب فبتوفيق من الله، وإن كان فيه غير ذلك فمني ومن الشيطان، أسأل الله عز وجل أن ينفعني به إياي وطلاب العلم، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

---

* محاضر بكلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد - باكستان

تعريف القراءة:

القراءات جمع قراءة، وهي في اللغة مصدر قرأ بمعنى تلا، وفي الاصطلاح: مذهب يذهب إليه إمام من الأئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف، أم في نطق هيئاتها.[2]

أهمية القراءات القرآنية في التفسير :

ولما كانت القراءات لها علاقة وثيقة بالتفسير كما يقول السيوطي :"إن بعض القراءات يبين ما لعله يجهل في القراءة الأخرى"[3]، وكما قال الآلوسي :"إن القراءات يفسر بعضها بعضا".[4] وكما صرح به الشنقيطي :"أن القراءات يبين بعضها بعضاً"،[5] صرح العلماء أنه يشترط لمن يفسر القرآن الكريم أن يكون عالما بها، فقد ذكر الإمام السيوطي أنه يشترط لمن يفسر القرآن الكريم أن يكون جامعا لخمسة عشر علما وعد من بينها القراءات فقال: "الثامن علم القراءات لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض"[6] واشترط ذلك أبو حيان في "البحر المحيط".[7]

واعتبر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي القراءات المتواترة خاصة أهم ما يفسر به القرآن في كتابه "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" الذي التزم فيه أن يفسر القرآن فيه بالقرآن كما يظهر من اسمه، يقول:" وقد التزمنا أنا لانبين القرآن إلا بقراءة سبعية، سواء كانت قراءة أخرى في المبينة نفسها، أو آية أخرى غيرها".[8]

وتظهر وثاقة صلة القراءات القرآنية بالتفسير وأهميتها لمن يفسر القرآن الكريم من منهج الأئمة المفسرين والعلماء المعتمدين في تفاسيرهم، فإنهم قد التزموا أن يرجعوا إلى القراءات بنوعيها المتواترة والشاذة قبل كل شيء عند تفسيرهم لآية من آيات القرآن الكريم ويبينوا وجوهها، ويظهر ذلك من صنيع بعضهم وصرح به الآخرون.[9]

فهذا ابن جرير الطبري عند ما فسر قوله تعالى "وعلى أبصارهم غشاوة" في الآية السابعة من سورة البقرة، أنه ليس عطفا على ما سبق وليس داخلا تحت قوله "ختم الله..." بل هي جملة مستأنفة مكونة من المبتدأ والخبر، كان مستنده الأول في ذلك القراءة، يقول:"القول في تأويل قوله جل ثناؤه:"وعلى أبصارهم غشاوة" وقوله وعلى أبصارهم غشاوة خبر مبتدأ بعد تمام الخبر عما ختم الله جل ثناؤه عليه من جوارح الكفار الذين مضت قصصهم، وذلك أن غشاوة مرفوعة بقوله "وعلى أبصارهم"، فذلك دليل على أنه خبر مبتدأ، وأن قوله ختم الله قد تناهى عند قوله

"وعلى سمعهم"، وذلك هو القراءة الصحيحة عندنا لمعنيين؛ أحدهما اتفاق الحجة من القراء والعلماء على الشهادة".[١٠]

واستدل البيضاوي بالقراءة عند ما قرر أن السمع داخل تحت حكم الختم، وليس داخلا تحت حكم الغشاوة، لأن القراء قد اتفقوا على الوقف على قوله "وعلى سمعهم"، يقول:" "وعلى سمعهم" معطوف على قلوبهم.... للوفاق على الوقف عليه".[١١]

وتظهر أهمية القراءات القرآنية المتواترة في التفسير من أن الأئمة يعتبرون التفسير بها تفسيرا بالقرآن الكريم الذي يعتبر من أجل أنواع التفسير، وذلك لأن القراءات القرآنية أبعاض القرآن الكريم، وهي ثابتة متواترة مثل تواتر القرآن نفسه ـ كما أشرنا إليه ـ وهذا يعني أنه يصح تخصيص عموم القرآن بها ويجوز تقييد مطلقه بها عند الجميع وخاصة عند الحنفية الذين يشترطون أن يكون المخصص لعموم القرآن والمقيد لمطلقه قطعيا مثله، لأن التخصيص والتقييد نوع من النسخ عندهم، ولا يصح نسخ القطعي إلا بقطعي مثله.

بناء على ما سبق يجب أن تكون القراءات القرآنية المتواترة هي المصدر الأول للتفسير، لأن أئمة التفسير متفقون على أن أفضل وسيلة لتفسير القرآن وأحسن مصادره هو القرآن نفسه، فما أجمل في مكان فانه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر، وكذا ما أطلق في قراءة فربما قيد في قراءة أخرى، ونحو ذلك مما سنبينه فيما سيأتي.[١٢]

أنواع القراءات القرآنية من حيث صلتها بالتفسير

علم القراءات علم مستقل، خصه العلماء بالتدوين والتأليف، ومع ذلك اهتم به المفسرون اهتماما كبيرا، بحيث يلتزم غالبيتهم بتناول القراءات المختلفة لكل كلمة من القرآن الكريم وردت بأكثر من قراءة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على وثاقة صلتها بتفسير القرآن الكريم، فقد ذكروا اختلاف القراءات في الكلمات والألفاظ, والحركات والإعراب، وحتى في كيفية أداء الألفاظ والنطق بها، وتعود هذه الاختلافات في القراءات القرآنية من حيث دلالتها على المعنى لدى المفسرين إلى نوعين[١٣]:

النوع الأول: ما لا دخل له في تغيير المعنى وإفادة معنى جديد مثل اختلاف القراء في وجوه التلفظ بالحروف والحركات كمقادير المد والإمالات، والتخفيف، والتسهيل والتحقيق، والجهر والهمس، و الغنة والإخفاء، ونحوها، والقراءات القرآنية وإن لم تكن لها كبير علاقة بالتفسير من هذه الناحية لأنها لاتأثير لها في اختلاف المعنى والدلالة، إلا أنها في ذاتها مهمة، وتكمن

أهميتها في أنها حفظت على العرب لغتهم ولهجاتهم المختلفة، في كيفية النطق بالحروف وصفاتها ومخارجها، وفيها مادة كبيرة لعلوم اللغة العربية.

النوع الثاني: هو الاختلاف الذي يترتب عليه التغير في المعنى، سواء كان ذلك باختلاف في حروف الكلمات مثل الخلاف في قراءة قوله "ما ننسخ من آية أو ننسها"،[١٤] فقرأه ابن كثير وأبو عمرو"نَنسأها" بفتح النون والسين وهمزة ساكنة بين السين والهاء، وقرأ الباقون (ننسها) بضم النون وكسر السين من غير همزة".[١٥]

ومعنى القراءة الأولى نؤخرها وفي معنى نؤخرها ثلاثة أقوال، أحدها: نؤخرها عن النسخ فلا ننسخها، قاله الفراء. والثاني: نؤخر إنزالها فلا ننزلها ألبتة. والثالث: نؤخرها عن العمل بها بنسخنا إياها، حكاهما أبو علي الفارسي.[١٦]

ومعنى القراءة الثانية نتركها فلاننسخها لأنه من النسيان والمراد به لازم معناه وهو الترك، أو يكون معناها نرفعها من صدور من حفظها، ويكون الفرق بين النسخ والإنساء أن الأول بمعنى نسخ الحكم دون التلاوة، والثاني بمعنى نسخ الحكم والتلاوة معاً.[١٧]

أو كان الخلاف في الحركات أو الإعراب أو الصيغة الصرفية، مثال الأول الاختلاف بين القراء في قوله تعالى:"ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون"[١٨] قرأ هذا الحرف نافع وابن عامر والكسائي (يصُدون) بضم الصاد، وقرأه ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة (يصِدون) بكسر الصاد، فعلى قراءة الكسر يكون معنى "يصدون" يضجون ويصيحون، وقيل يضحكون، وقيل معنى القراءتين واحد ،كيعرُشون ويعرِشون[١٩] ويعكُفون ويعكِفون،[٢٠] وعلى قراءة الضم فهو من الصدود بمعنى الامتناع والإعراض.[٢١]

ومثال الاختلاف في الإعراب اختلاف القراء في قوله تعالى:"يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير"[٢٢] قرأه ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة: {ولباس التقوى} بالرفع مبتدأ وخبره جملة "ذلك خير" أو يكون كلمة ذلك صلة (زائدة) ويكون "خير" خبره.

وقرأ ابن عامر، ونافع، والكسائي: بنصب اللباس ويكون عطفا على قوله "وريشا"، قال الزجاج: من نصب اللباس، عطف به على الريش.[٢٣]

ومثال الاختلاف في الصيغة الصرفية اختلاف القراء في قوله تعالى في سورة النساء:"أَوْ لامَسْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ..."[٢٤] وفي قوله تعالى في سورة المائدة:" أَوْ لامَسْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا .."."[٢٥] فقرأ حمزة والكسائي وخلف "لمستم" بالقصر

في سورة النساء وفي سورة المائدة، وقرأ الباقون وهم نافع و ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بالمد فيهما، والمراد بالمد إثبات الألف بعد اللام وبالقصر حذفها.[٢٦]
ومعنى القراءة الأولى الجس واللمس باليد فيكون اللمس باليد ناقضا للوضوء وموجبا للتيمم، وكل ما كان موجبا للتيمم فهو موجب للوضوء أيضا، ومعنى القراءة الثانية (الملامسة) الجماع، فيكون على هذه القراءة الناقض للوضوء الموجب للتيمم هو الجماع وليس اللمس باليد.[٢٧]

تقسيم آخر

وينقسم النوع الثاني من النوعين المذكورين وهو القراءات المختلفة الدالة على المعاني المتغايرة، إلى نوعين:

النوع الأول:

القراءات المختلفة التي لا يمكن حملها على معنى واحد، ويتعذر الجمع بينها، وإرجاعها إلى مفهوم واحد، وتعتبر كل قراءة في هذه الحالة آية مستقلة، ويستفاد من كل واحدة منها حكم مستقل ومعنى جديد، وتكون هذه المعاني كلها مرادة لله تعالى، نقل الزركشي عن أبي الليث السمرقندي في كتابه "البستان" أنه قال: "إن كان لكل قراءة تفسير يغاير الآخر فقد قال(الله) بهما جميعا، وتصير القراءتان بمنزلة آيتين".[٢٨]
وقد صرح بذلك جماعة من المفسرين منهم الجصاص الرازي الذي يقول في آية الوضوء من سورة المائدة:"فإن القراءتين كالآيتين في إحداهما الغسل وفي الأخرى المسح لاحتمالهما للمعنيين".[٢٩]
ومنهم القرطبي الذي يقول:"فإن القراءتين كالآيتين فيجب أن يعمل بهما".[٣٠]
ومنهم ابن تيمية الذي يقول في نفس الآية ولكن في موضع آخر منها:"وأما القراءة الأخرى وهي قراءة من قرأ وأرجلكم بالخفض فهي لا تخالف السنة المتواترة إذ القراءتان كالآيتين"[٣١]
ومن هنا جعل العلماء تعارض القراءتين في آية واحدة كتعارض الآيتين، كقوله تعالى "وأرجلكم" بالنصب والجر، وقالوا يجمع بينهما بحمل إحداهما على مسح الخف، والثانية على غسل الرجل.[٣٢]

أمثلة القراءات التي تعتبر بمثابة آيات مستقلة

وتوجد أمثلة كثيرة للقراءات التي اعتبرها المفسرون بمثابة آيات مستقلة، منها قوله تعالى:"حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا".[٣٣] قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو

وابن عامر "كُذّبوا" مشددة الذال مضمومة الكاف، ويكون معنى الآية على هذه القراءة "وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم" فيكون الظن في الآية بمعنى اليقين.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي "كذبوا" خفيفة، والمعنى ظن قومهم أن الرسل قد كذبوا فيما وعدوا به من النصر، أو أن قومهم ظنوا أن الرسل كذبوهم في وعيد العقاب، ويتعين على هذه القراءة التأويل المذكور لأنه يستحيل على الرسل مثل هذا الظن في حق الله تعالى، لأنه يتعارض مع عصمتهم، أو يكون المراد بالآية أن الرسل ظنوا أن أنفسهم قد كذبتهم فيما كانت تمنيهم بالنصر، أو خاب رجاؤهم في سرعة مجيء النصر، ويعبر عن خيبة الرجاء، يقال: كذب إذا خاب.[٣٤]

النوع الثاني:

وهو القراءات المختلفة التي يمكن حملها على معنى واحد، فإذا أمكن ذلك حملت إحدى القراءتين على الأخرى بحيث تكون إحداهما تفسيرا للأخرى، وهذا هو الأصل عند المفسرين، ولذلك تجد المفسرين دائما يحاولون قدر الإمكان أن يحملوا القراءات المختلفة في آية على معنى واحد،[٣٥] وقد صرح المفسرون بذلك، يقول الآلوسي: " والأصل في القراءات التوافق".[٣٦]

وسنتناول بالبحث في هذه العجالة هذا النوع الأخير من القراءات المتواترة والشاذة، لأنه هو الذي يستمد منه التفسير دون غيره.

أنواع القراءات من حيث ثبوتها

قسم العلماء القراءات من حيث ثبوتها إلى قسمين، ولكل قسم حكم يخالف حكم الآخر في الاحتجاج به في التفسير، والقسمان هما:[٣٧]

١- القراءات المتواترة.

٢- القراءات الشاذة.

وسنفصل القول في الأولى، ثم نعقبه بتفصيل أحوال الثانية.

القسم الأول: القراءات المتواترة

وهي ما رواها جمع عن جمع تحيل العادة تواطؤهم على الكذب عن مثلهم من مبدأ السند إلى منتهاه، والقراءات المتواترة هي القراءات السبع[٣٨] والثلاث[٣٩] المتممة عشرة أصولا وفرشا[٤٠] كلها متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم سوى أحرف يسيرة يعرفها المهرة من القراء.[٤١]

وقد صرح بتواترها جم غفير من علماء الأصول وغيرهم،[٤٢] وممن صرح بتواتر العشرة الحافظ أبو عمرو عثمان بن الصلاح، فإنه قال في جواب فتوى وردت عليه من بلاد العجم إنه يشترط أن يكون المقروء به قد تواتر نقله عن رسول الله قرآنا، واستفاض نقله كذلك، وتلقته الأمة بالقبول؛ كهذه القراءات السبع، لأن المعتبر في ذلك اليقين والقطع على ما تقرر وتمهد في الأصول، فما لم يوجد فيه ذلك كما عدا السبع أو كما عدا العشر فممنوع من القراءة به منع تحريم لا منع كراهية".[٤٣]

وقال ابن الجزري إنه استفتى الشيخ عبد الوهاب السبكي فكتب في جوابه: "الحمد لله؛ القراءات السبع التي اقتصر عليها الشاطبي[٤٤]، والثلاث التي هي قراءة أبي جعفر وقراءة يعقوب وقراءة خلف، متواترة معلومة من الدين بالضرورة.

وكل حرف انفرد به واحد من العشرة معلوم من الدين بالضرورة، أنه منزل على رسول الله، لا يكابر في شيء من ذلك إلا جاهل، وليس شيء منها مقصوراً على من قرأ بالروايات بل هي متواترة عند كل مسلم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، ولو كان مع ذلك عاميا جلفا لا يحفظ من القرآن حرفا.

ولهذا تقرير طويل وبرهان عريض لا تتسع هذه الورقة لشرحه، وحظ كل مسلم وحقه أن يدين لله تعالى ويجزم نفسه بأن ما ذكرناه متواتر معلوم باليقين لا يتطرق الظنون والارتياب إلى شيء منه".[٤٥]

ويرى الشيخ الكوثري أن تواتر القراءات السبع ثابت لا بتواتر الطبقة فقط - كما اختار بعضهم - بل بالأسانيد التي ذكرها العلماء ثبوتا لا مزيد عليه، وأن تهوين أمر هذه القراءات خطير جدا.

يقول: "والقراءات الواردة في العرضة الأخيرة هي أبعاض القرآن المتواترة في كل الطبقات، فيكفر جاحد حرف منها، إلا أن من القراءات ما هو معلوم تواتره بالضرورة عند الجماهير، ومنها ما يعلم تواتره حذاق القراء المتفرغون لعلوم القراءة دون عامتهم، فإنكار شيء من القسم الأول كفر باتفاق.

وأما الثاني فإنما يعد كفرا بعد إقامة الحجة على المنكر وتعنته بعد ذلك، فتهوين أمر القراءات السبع أو العشر المتواترة خطر جدا، وإن اجترأ على ذلك بعض الناس، مع أن شيخ الصناعة الشمس الجزري يسرد أسماء رواة العشر طبقة بعد طبقة في كتابه "منجد المقرئين"،[٤٦] بحيث يجلو لكل ناظر أمر تواتر القراءات العشر في كل الطبقات جلاء لا مزيد عليه، فضلا عن السبع، وهذا مع عدم استقصائه رواة العشر في كل طبقة ..."[٤٧]

تفسير القرآن بالقراءات المتواترة

لقد اتفق الأئمة من المفسرين وغيرهم - كما سبق - أن القراءات المتواترة من أحسن مصادر التفسير وأجلها، لأنها تعتبر أبعاض القرآن الكريم، فالتفسير بها يعتبر من قبيل تفسير القرآن بالقرآن.

ويتنوع تفسير القرآن الكريم بالقراءات المتواترة، وتتعدد وجوهه ومناحيه، فقد يكون ذلك ببيان الغريب، وقد يكون ببيان الإجمال، وقد يكون بتوضيح المشكل، وقد يكون بتخصيص العام، وقد يكون بتقييد المطلق وقد يكون بوجه آخر من وجوه التفسير، ونورد فيما يلي بعض أمثلة من كتب التفسير المعتمدة تبين لطف هذا الباب.

القراءة المتواترة ترفع الإشكال

قوله تعالى: "وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها، ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا"[٤٨]، قرأ يعقوب قوله "آمرنا" بمد الهمزة، وقرأ الباقون "أمرنا" بقصرها.[٤٩]

وقد استشكل ظاهر قراءة القصر في همزة "أمرنا" لأن الله سبحانه وتعالى لا يأمر بالفسق والفحشاء،[٥٠] ولذلك رفع المفسرون هذا الإشكال بالرجوع إلى قراءة المد في همزة "آمرنا" المتواترة فإنها بمعنى "أكثرنا" عند الجميع.

وقالوا: "أمرنا" بالقصر بمعنى "أكثرنا" أيضا، وليس على ظاهر معناه، يقال: أمرهم الله أي كثرهم الله، وفي الحديث "خير المال مهرة مأمورة (أي كثيرة النسل) وسكة مأبورة"[٥١]، ويقال: منه أمر القوم يأمرون أمرا إذا كثروا.

يقول الآلوسي: وقرأ علي كرم الله تعالى وجهه، وابن أبي إسحاق، وأبو رجاء، وعيسى بن عمرو، وعبد الله بن أبي زيد، والكلبي، "آمرنا" بالمد، وكذلك جاء عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، وأبي العالية، وابن هرمز، وعاصم، وابن كثير، وابن عمرو، ونافع، وهو اختيار يعقوب، ومعناه عند الجميع "كثرنا"، وبذلك أيد التفسير السابق على القراءة المشهورة".[٥٢]

القراءة المتواترة تبين المجمل

مثال ذلك قوله تعالى: "وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين". قرأ أهل المدينة والشام "مساكين" بصيغة الجمع، وبناء على هذه القراءة فإن الآية مجملة في بيان الحكم في اليوم الواحد، فإنه لا يعرف كم مسكينا يطعم لليوم الواحد، إلا إذا دل دليل آخر على ذلك غير الآية المذكورة.

وقرأ أبو عمرو وحمزة، والكسائي بإفراد "مسكين"، وهي قراءة ابن عباس فيما رواه عنه عطاء، واختارها أبو عبيد، ويدل إفراد "مسكين" أن الحكم لكل يوم يفطر فيه إطعام مسكين، ولا يفهم ذلك من الجمع، ومن هنا قال أبو عبيدة: "فبينت (قراءة "مسكين" بالإفراد) أن لكل يوم إطعام واحد، فالواحد مترجم عن الجميع، وليس الجميع بمترجم عن واحد، وجمع المساكين لا يدري كم منهم في اليوم إلا من غير الآية".[٥٣]

ولذلك فسروا قراءة "مساكين" بالجمع في ضوء قراءة "مسكين" بالإفراد، وجعلوا ذلك من قبيل مقابلة الجمع بالجمع لتكون بمعنى القراءة الأولى بمعنى أن كل واحد عليه طعام مسكين مقابل كل يوم، ومثله قوله تعالى: {فاجلدوهم ثمانين}[٥٤] أي اجلدوا كل واحد ثمانين جلدة.

القراءة المتواترة تحدد معنى المشترك

قوله تعالى: "لقالوا إنما سكّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون".[٥٥]. قرأ الأكثرون بتشديد الكاف من "سكرت"، وقرأ ابن كثير وعبد الوارث بتخفيفها.

و"سكّرت" بالتشديد من سكرت الشراب بمعنى غشيت وغطيت، وسكرت بالتخفيف بمعنى حبست أبصارنا عن الرؤية والنظر من سكور الريح، وهو سكونها وركودها، يقال: سكرت الريح إذا سكنت وركدت، وقال الزجاج: سكرت بالتشديد فسروها أغشيت وسكرت بالتخفيف تحيرتْ وسكنتْ عن أن تنظر، والعرب تقول سكرت الريح تسكر إذا سكنت.[٥٦]

بناء على القراءتين المذكورتين اختلفت أقوال أهل التأويل في تأويل الآية، فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة: إن معنى الآية بقراءتيها أن أبصارنا سدت ومنعت من الإبصار، ويكون الدليل على اختيار هذا التأويل قراءة "سكرت" بالتخفيف، يقول الآلوسي: "ويشهد لهذا المعنى قراءة ابن كثير والحسن ومجاهد "سكرت أبصارنا" بتخفيف الكاف مبنيا للمفعول، لأن سكر المخفف المتعدي اشتهر في معنى السد"،[٥٧] وقال البيضاوي: "إنما سكرت أبصارنا، سدت عن الإبصار بالسحر من السكر، ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف"[٥٨]، وقال أبو السعود مثله.[٥٩]

وهذه القراءة تدل على أن "سكرت" مشددا من الفعل المتعدي الذي هو بمعنى السد والحبس، والتشديد يعني التكثير.[٦٠]

وأولها الآخرون بأن معناها غشيت وغطيت، وتحيرت، و هو قول أبي عمرو بن العلاء فإنه قال: سكرت غشيت وغطيت، وبه قال أبو عبيد، وأبو عبيدة، وروي عن أبى عمرو أيضا أنه من سكر الشراب أي غشيهم ما غطى أبصارهم كما غشى السكران ما غطى عقله،[٦١] فيكون في الكلام

على هذا استعارة، ويكون التشديد في القراءة الأخرى للتعدية لأن سكر كفرح بالتخفيف من سكر الشراب لازم في الأشهر.[٦٢]

القراءة المتواترة تبين معنى الكلمة

لقد وردت أمثلة كثيرة لبيان معنى الكلمة الغريبة بقراءة أخرى، ومنها أيضا قوله تعالى:"ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان"[٦٣] قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم "عقّدتم" بغير ألف مشددة القاف، و قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر "عقدتم" بالتخفيف، وقرأ ابن عامر "عاقدتم" بألف مثل عاهدتم.[٦٤]

ولما كانت قراءة "عقدتم" بتشديد القاف تقتضي التكرار مع أن الحنث يتحقق بالحلف مرة واحدة من غير تكرار، وقراءة "عاقدتم" بالألف تقتضي المشاركة ولا معنى لها في الحلف، فخفي معنى الكلمتين في هذه الآية ومن هنا رفع المفسرون هذا الخفاء وقالوا إن قراءتي التشديد والمفاعلة بمعنى قراءة "عقدتم" بالتخفيف التي تدل على مطلق الفعل من غير زيادة شيء، وفسروا القراءتين بها، يقول الآلوسي: "والمفاعلة فيها لأصل الفعل وكذا قراءة التشديد لأن القراءات يفسر بعضها بعضا".[٦٥]، وقال أبو حيان: فالتشديد .... بمعنى المجرد نحو قدّر وقدر، والتخفيف هو الأصل، وبالألف بمعنى المجرد نحو جاوزت الشيء وجزته، وقاطعته وقطعته، أي هجرته".[٦٦]

وذكر الإمام الرازي أن قراءة "عقدتم" بالتشديد، وقراءة "عاقدتم" بالألف تعودان إلى معنى قراءة "عقدتم"، فإن بابي التفعيل والمفاعلة يأتيان بمعنى المجرد.[٦٧]

وقال الشنقيطي: والتضعيف والمفاعلة: معناهما مجرد الفعل بدليل قراءة {عَقدتُمُ} بلا ألف، ولا تضعيف، والقراءات يبين بعضها بعضاً".[٦٨]

القسم الثاني: القراءات الشاذة

أولا: تعريف القراءة الشاذة وأنواعها

نقصد بالقراءة الشاذة كل قراءة لم تتوفر فيها شروط القراءة المتواترة، وهي كل قراءة وراء العشرة.[٦٩]

أنواع القراءات الشاذة

تنقسم القراءات الشاذة إلى نوعين:

النوع الأول :

ما صح نقله عن الآحاد ، وصح وجهه في العربية ، وخالف لفظه خط المصحف ، وهذا لا يقرأ به لعلتين :

إحداهما : أنه لم يؤخذ من جهة التواتر ، إنما أخذ بأخبار الآحاد ، ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد .

العلة الثانية : أنه مخالف لما قد أجمع عليه ، وهو خط المصحف ، وما كان مخالفا لما قد أجمع عليه فلا يقطع بصحته ، وما لم يقطع بصحته لا يجوز القراءة به .

مثاله : قراءة عبد الله بن مسعود وأبي الدرداء "والذكر والأنثى"[٧٠] في "وما خلق الذكر والأنثى" .[٧١]

وقراءة[٧٢] عبد الله بن عباس "وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا ، وأما الغلام فكان كافرا" .[٧٣] ونحو ذلك مما ثبت برواية الثقات .

النوع الثاني :

هو ما نقله غير ثقة ، أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية ، فهذا لا يقبل و إن وافق خط المصحف ، مثال ما نقله غير ثقة وذلك كثير في كتب الشواذ ، مما غالب إسناده ضعيف مثل قراءة ابن السميفع[٧٤] وأبي السمال[٧٥] وغيرهما في قوله تعالى "ننجيك ببدنك"[٧٦] (ننحيك) بالحاء المهملة .

ومثل القراءة المنسوبة إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله التي جمعها أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي ،[٧٧] ونقلها عنه أبو القاسم الهذلي ،[٧٨] فإنها لا أصل لها ، قال أبو العلاء الواسطي[٧٩] : " إن الخزاعي[٨٠] وضع كتابا في الحروف نسبه إلى أبي حنيفة ، فأخذت خط الدار قطني وجماعة أن الكتاب موضوع لا أصل له" .[٨١]

يقول ابن الجزري : وقد رويت الكتاب المذكور ، ومنه "إنما يخشى الله من عباده العلماء" برفع الهاء ونصب الهمزة ، وقد راج على كثير من المفسرين ، ونسبها إليه وتكلف توجيهها ، وإن أبا حنيفة لبريء منها .[٨٢]

ومثال ما لا وجه له في العربية ما رواه خارجة عن نافع "معائش"[٨٣] بالهمز ، وما رواه أبو علي العطار عن العباس عن أبي عمرو "سِحران تظّاهرا"[٨٤] بتشديد الظاء .[٨٥]

تقسيم القراءات الشاذة من حيث دلالتها على المعنى

وتنقسم القراءات الشاذة من حيث دلالتها على المعنى إلى القسمين اللذين ذكرناهما في مبحث القراءات المتواترة، وهما:

١ـ القراءات التي لا يلزم من الخلاف فيها الخلاف في المعنى.

٢ـ القراءات التي يلزم من الخلاف فيها التغير في المعنى.

ونحن سنتناول في هذه الوريقات من القراءات الشاذة ما كانت له صلة بالتفسير وهي التي تدل على معنى مغاير.

الاستدلال بالقراءة الشاذة.

ولما اختلفت أقوال الأئمة في الاحتجاج بالقراءات الشاذة خاصة؛ فمنهم من اعتبرها حجة في الأحكام واعتبرها مصدرا من مصادر التفسير، ومنهم من لا يحتج بها ولا يفسر بها القرآن الكريم، ولكل أدلته، أحببت أن أورد مذاهب الأئمة في ذلك وبعض أدلتهم فيما يلي:

المذهب الأول: القراءات الشاذة لا يحتج بها

إنها ليست حجة، قاله إمام الحرمين، واعتبر ظاهر مذهب الإمام الشافعي أن القراءة الشاذة التي لم تنقل متواترة لا يسوغ الاحتجاج بها، ولا تنزل منزلة الخبر الذي ينقله آحاد من الثقات.

ولهذا نفى التتابع واشتراطه في صيام الأيام الثلاثة في كفارة اليمين، ولم ير الاحتجاج بما نقله الناقلون من قراءة ابن مسعود في قول الله تعالى: "فصيام ثلاثة أيام متتابعات"، وشرط أبو حنيفة التتابع وتعلق بهذه القراءة.[٨٦]

حمل هذا التصريح من إمام الحرمين كل من جاء بعده أن يتبعه في نسبة هذا القول إلى الإمام الشافعي مثل الآمدي[٨٧]، والنووي،[٨٨] وأبي نصر القشيري،[٨٩] والغزالي في "المستصفى"[٩٠] و"المنخول".[٩١]

وكذا اعتبره ابن السمعاني[٩٢] في "القواطع"[٩٣] مذهبا للشافعي، وادعى الأبياري[٩٤]: أنه ظاهر مذهب مالك أيضاً وبمثله قال ابن الحاجب.[٩٥]

و أطلق القول بعدم حجيته من المالكية أبو بكر بن العربي يقول: "إنها قراءة شاذة وهي لا تجوز تلاوة، ولا توجب حكما".[٩٦]

وقال: والقراءة الشاذة لا ينبني عليها حكم، لأنه لم يثبت لها أصل"[٩٧] وممن قطع من المالكية بعدم حجيتها القرطبي شارح "مسلم".[٩٨]

أدلة القائلين بعدم حجيتها

الدليل الأول:

استدل الغزالي على عدم الاحتجاج بالقراءة الشاذة بأنه إن جعلها من القرآن فهو خطأ قطعاً، لأنه وجب على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغه طائفة من الأمة تقوم الحجة بقولهم، وكان لا يجوز له مناجاة الواحد به.

وإن لم يجعله من القرآن، احتمل أن يكون ذلك مذهبا للراوي لدليل قد دله عليه، واحتمل أن يكون خبرا.

وما تردد بين أن يكون خبرا أو لا فلا يجوز العمل به، و إنما يجوز العمل بما يصرح الراوي بسماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم.[٩٩]

نقض هذا الدليل

ويمكن أن يقال في نقض الدليل المذكور بأن ما ينقله الراوي من القراءات الشاذة لا يخرج من حالتين:

إما أن يكون قرآنا.

وإما أن يكون خبرا.

لكن لما قصر عن رتبة التواتر لم تثبت قرآنيته، فيكون خبرا عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يحتمل أن يكون ذلك مذهبا للصحابي، لأن الصحابي نقل ذلك قرآنا ولا مدخل للرأي في ذلك، فلا بد له من سماع إذاً عن النبي صلى الله عليه وسلم.

الدليل الثاني:

و استدل إمام الحرمين على عدم حجية القراءة الشاذة بالدليل الإلزامي على الحنفية القائلين بعدم قبول زيادة الثقات في أخبار الآحاد، فقال: " ولا يكاد يخفى أولا على ذي بصيرة أن العمل بزيادة في القرآن بنقل الآحاد يناقض رد ما ينفرد به بعض الثقات من الزيادات في الأخبار التي لا تقتضي العادة نقلها متواترا".

ثم قرر الدليل التحقيقي على عدم حجيتها قائلا: والذي يحقق سقوط الاحتجاج بالقراءة الشاذة أمران:

أحدهما: أن القرآن قاعدة الإسلام وقطب الشريعة وإليه رجوع جميع الأصول ولا أمر في الدين أعظم منه، وكل ما يجل خطره ويعظم وقعه لا سيما من الأمور الدينية فأصحاب الأديان يحتاطون غاية الاحتياط في حفظه ونقله، ولا يصح الاعتماد في ذلك عادة على نقل الآحاد ما دامت الدواعي متوافرة، والنفوس إلى ضبط الدين متشوفة، وهذا يقتضي تواتر الأخبار المتعلقة بالقرآن الكريم، فهذا وجه.

والوجه الثاني: أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعوا في زمن أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضي الله عنه على ما بين الدفتين، واطرحوا ما عداه، وكان ذلك عن اتفاق منهم، ولم ينكر على عثمان في ذلك منكر، وكل زيادة لا يحويها المصحف الإمام، ولا تشتمل عليها الدفتان فهي غير معدودة في القرآن.[١٠٠]

مناقشة هذا الدليل

ردّ إمام الحرمين بالدليل السابق على من يثبت القرآن بالقراءات الشاذة، وأما من لا يثبت بها القرآن بل يعتبرها بمثابة الخبر الواحد في الاحتجاج بها في الأحكام الفقهية فلا يلزمهم شيء مما ذكره.

المذهب الثاني: القراءات الشاذة يحتج بها

القراءات الشاذة حجة، وقد نص الإمام الشافعي في "مختصر البويطي" في "باب الرضاع"، وفي "باب تحريم الجمع"، على ذلك، فقال: ذكر الله الرضاع بلا توقيت وروت عائشة التوقيت بخمس، و أخبرت أنه مما أنزل من القرآن، وهو وإن لم يكن قرآنا فأقل حالاته أن يكون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم".

ويرى كثير من الشافعية أنه يعمل بها من جهة كونها خبرا، منهم الشيخ أبو حامد،[١٠١] والقاضي حسين،[١٠٢] و الرافعي،[١٠٣]، والروياني،[١٠٤] والقاضي أبو الطيب،[١٠٥] وابن السبكي في جمع الجوامع، والماوردي.[١٠٦]

وقال الشربيني في الإقناع: " وتقطع يده أي السارق اليمنى، قال تعالى: "فاقطعوا أيديهما" وقُرئ شاذا "فاقطعوا أيمانهما" والقراءة الشاذة كخبر الواحد في الاحتجاج بها".[١٠٧]

وقال في موضع آخر :" فإن قيل : قرأ ابن مسعود ثلاثة أيام متتابعات، والقراءة الشاذة كخبر الواحد في وجوب العمل، كما أوجبنا قطع يد السارق اليمنى بالقراءة الشاذة في قوله تعالى :"والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما".[١٠٨]

أجيب بأن آية اليمين نسخت متتابعات تلاوة وحكما ، فلا يستدل بها بخلاف آية السرقة فإنها نسخت تلاوة لا حكما".[١٠٩]

وذكر في حاشية البجيرمي :"قوله والقراءة الشاذة كالخبر، ... يجوز الاحتجاج بالقراءة الشاذة إذا صح سندها لأنها بمنزلة خبر الآحاد".[١١٠]

وقال زكريا الأنصاري :"وقرئ شاذا فاقطعوا أيمانهما ، والقراءة الشاذة كخبر الواحد في الاحتجاج بها".[١١١]

المذهب الثالث : القراءات الشاذة يحتج بها بشروط

هي حجة عند الأحناف، وقد أطلق القول هكذا في أغلب الكتب المتداولة، لكن الذي يظهر من صنيع الفقهاء الحنفية أنهم يشترطون لذلك شروطا ؛ ولذلك تجدهم يحتجون بها في بعض المواضع دون غيرها .

ومن الشروط الأساسية للاحتجاج بها عندهم ـ وخاصة عند الزيادة بها على كتاب الله ـ أن تكون هذه القراءة الشاذة مشهورة عند السلف في عصرهم.[١١٢]

ولذلك قال الجصاص : "إنما أثبتوا هذه الزيادة بحرف عبد الله لاستفاضته وشهرته عندهم في ذلك العصر، وإن كان إنما نقل إلينا الآن من طريق الآحاد لأن الناس تركوا القراءة به واقتصروا على غيره، وإنما كلامنا على أصول القوم وهذا صحيح على أصلهم".[١١٣]

وذكر السرخسي من الحنفية اشتراط الشهرة في القراءة عند السلف للاحتجاج بها ، وذكر أنهم لم يعملوا لهذا السبب بقراءة أبي بن كعب في قوله :"فعدة من أيام أخر متتابعة" ، لأنها قراءة شاذة غير مشهورة، وبمثلها لا تثبت الزيادة على النص، فأما قراءة ابن مسعود فقد كانت مشهورة في زمن أبي حنيفة حتى كان الأعمش يقرأ ختما على حرف ابن مسعود ، وختما من مصحف عثمان ، والزيادة عندنا تثبت بالخبر المشهور.[١١٤]

ومن هنا لم يأخذ الجصاص بقراءة أبي بن كعب في قوله تعالى : "فعدة من أيام أخر" متتابعات، لأنها ليست مشهورة ولا تصح الزيادة على النص إلا بنص مثله.

قال : إن قوله (فعدة من أيام أخر) قد أوجب القضاء في أيام منكورة غير معينة، وذلك يقتضي جواز قضائه متفرقا إن شاء، أو متتابعاً، ومن شرط فيه التتابع فقد خالف ظاهر الآية بإيجاب صفة زائدة غير مذكورة في اللفظ، وغير جائز الزيادة في النص إلا بنص مثله.[١١٥]

دليل الحنفية

وحجة الحنفية في حجية القراءة الشاذة أنها نقلت عن النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق العدول الضابطين، وكل ما كان مسموعاً من النبي صلى الله عليه وسلم فهو حجة، لأنه إما أن يكون قرآنا نسخت تلاوته، أو يكون خبراً، وفي الحالتين يجب العمل به.[١١٦]

واشترط الحنفية الشهرة للاحتجاج بالقراءات الشاذة، وخاصة إذا لزم من العمل بها الزيادة على القراءة المتواترة، لأن الزيادة عندهم نسخ، ولا يجوز نسخ المتواتر إلا بمتواتر مثله أو مشهور ملحق بالمتواتر عندهم.

المذهب الرابع : مذهب المفسرين

ويرى المفسرون أن القراءات الشاذة يحتج بها في التفسير بل هي من أحسن وسائل التفسير لأنها على أقل تقدير من أقوال للصحابة وكبار التابعين العارفين بتأويل كتاب الله، نقلت إلينا بطرق صحيحة، ثم صارت تنقل مع المصحف نفسه.

وفي ذلك يقول أبو عبيد في كتابه "فضائل القرآن" :"إن القصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها" ثم ذكر بعض الأمثلة للقراءات الشاذة التي تفسر القراءات المتواترة، ثم قال :"فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن، وقد كان يروى مثل هذا عن بعض التابعين في التفسير فيستحسن ذلك، فكيف إذا روى عن كبار الصحابة؟ ثم صار في نفس القراءة، فهو الآن أكثر من التفسير وأقوى، فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل، على أنها من العلم الذي لا يعرف العامة فضله، إنما يعرف ذلك العلماء"[١١٧]

وقال القرطبي :"أما شاذ القراءة عن المصاحف المتواترة فليست بقرآن ولا يعمل بها على أنها منه، وأحسن محاملها أن تكون بيان تأويل مذهب من نسبت إليه كقراءة ابن مسعود فصيام ثلاثة أيام متتابعات".[١١٨]

وتعتبر القراءات الشاذة بمثابة أقوال لمن نسبت هي إليه من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، بل وتعتبر القراءات المنسوبة إلى الصحابة بمثابة الخبر المرفوع،[١١٩] وذلك لأنهم كانوا يدخلون التفسير أحيانا في مصاحفهم، وكانوا قد أمنوا اللبس لحفظهم القرآن الكريم، فنقلت هذه

التفاسير عنهم، وظن بعض الناس أنهم كانوا يقرؤونها كقرآن فنقلوها عنهم كقراءات، وهي في الحقيقة تفسير لما كانوا قد تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم، يقول ابن الجزري في ذلك" كانوا ربما يدخلون التفسير في القراءة إيضاحاً وبياناً لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي قرآناً فهم آمنون من الالتباس وربما كان بعضهم يكتبه معه". [١٢٠]

ومما يدل على أنهم كانوا يدخلون التفسير أحيانا مع القرآن الكريم ما نقله القرطبي أن شعبة روى عن عاصم عن زر عن أبي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ "إن الدين عند الله الحنيفية لا اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية"، قال أبو بكر الأنباري: ولا يخفى على ذي تمييز أن هذا الكلام من النبي صلى الله عليه وسلم على جهة التفسير أدخله بعض من نقل الحديث في القرآن". [١٢١]

شروط قبول القراءات الشاذة في التفسير

وإذا كانت القراءات الشاذة تعتبر قولا لمن نسبت هي إليه فإنه يشترط لقبولها عدة شروط، وبيان هذه الشروط يشرح لنا ظاهرة قبول المفسرين لبعض القراءات الشاذة ورفضهم لبعضها، وسنذكر بعض هذه الشروط فيما يلي:

الشرط الأول: أن تكون مقبولة السند

يشترط للقراءات كما يشترط لسائر الأقوال المأثورة في التفسير سواء كانت من أحاديث رسول الله أو من أقوال الصحابة أو التابعين أن تكون منقولة إلينا بسند مقبول، ولذلك تجد المفسرين لا يحتجون برواية الضعفاء من نقلة القراءات مثل قراءة بعض الشيعة في قوله تعالى "فإذا فرغت فانصب"[١٢٢] فإنهم قرءوا قوله "فأنصِب" بكسر الصاد بمعنى: إذا فرغت من الرسالة فانصب خليفة، قال ابن عطية: وهي قراءة شاذة ضعيفة المعنى لم تثبت عن عالم". [١٢٣]

الشرط الثاني: أن لا يأباها النظم القرآني الكريم

مثل قراءة بعض الناس في"ومن كفر فأمتعه" بصيغة الأمر وجعله من تمام دعاء إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى" وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير". [١٢٤]

فإنها قراءة شاذة مخالفة لقراءة العامة، وتركيب السياق يأبى معناها، فان الضمير في قال راجع إلى الله تعالى في قراءة الجمهور، والسياق يقتضيه، وعلى هذه القراءة الشاذة يكون الضمير في قال عائدا على إبراهيم وهو خلاف نظم القرآن الكريم.[١٢٥]

الشرط الثالث: ألا تعارض الدليل القطعي

ويشترط أن لا تكون القراءة الشاذة متعارضة مع الدليل القطعي من القراءة المتواترة، أو الإجماع، أو الخبر المتواتر، أو القطعيات العقلية، فإن عارضها ردت، مثل قراءة "مصر" بترك التنوين وحذف الألف من غير صرف، وتنسب هذه القراءة إلى أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود، في قوله تعالى :"اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم"[١٢٦] بينما هو في قراءة الجمهور"مصرا" بتنوين مصر بالصرف.

واختلفوا بناء على هذه القراءة هل هي مصر فرعون بعينها أو المراد به أي مصر أو قرية، فالذين قرءوه "مصر" من غير صرف فالمراد به مصر فرعون المتعينة، وأما على قراءة الجمهور فيكون تأويل الآية أن اهبطوا مصرا من الأمصار، يستوي في ذلك مصر فرعون وغيرها، لأنكم في البدو والذي طلبتموه من الفوم والعدس والبصل لا يكون في البوادي والصحاري، وإنما يكون في القرى والأمصار فإن لكم إذا هبطتم أي مصر أو قرية ما سألتم، ولما كانت قراءة "مصر" بغير تنوين تخالف ما أجمعت عليه الأمة من مصاحف الأمصار رفضها المفسرون، يقول الإمام ابن جرير الطبري :" فأما القراءة فإنها بالألف والتنوين "اهبطوا مصرا"، وهي القراءة التي لا يجوز عندي غيرها لاجتماع خطوط مصاحف المسلمين واتفاق قراءة القراء على ذلك، ولم يقرأ بترك التنوين فيه وإسقاط الألف منه إلا من لا يجوز الاعتراض به على الحجة فيما جاءت به من القراءة مستفيضا بينا"، ومثله قال الحافظ ابن كثير في تفسيره.[١٢٧]

ومن أمثلة ذلك قراءة من قرأ من الصحابة {فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أن لايَطَّوَّفَ بِهِمَا}[١٢٨] بزيادة حرف النفي كما ذكره الطبري، وابن المنذر وغيرهما، عن أُبي بن كعب، وابن مسعود، وابن عباس رضي الله عنهم. فإن القراءة بالنفي تتعارض مع قراءة العامة بالإثبات ولا يمكن الجمع بينهما فترد هذه القراءة الشاذة، يقول الشنقيطي في ذلك:" إن القراءة المذكورة تخالف القراءة المجمع عليها المتواترة، وما خالف المتواتر المجمع عليه إن لم يمكن الجمع بينهما فهو باطل، والنفي والإثبات لا يمكن الجمع بينهما لأنهما نقيضان".[١٢٩]

الشرط الرابع: أن لا يعارض القراءة الشاذة خبر مرفوع

فإذا عارضها قدم عليها، وذلك لأن الخبر المرفوع إذا صح مجمع على قبوله بخلاف القراءة الشاذة، فإنها مختلف في الاحتجاج بها، يقول البلقيني: " القراءة الشَّاذَّة فقالوا: إن جَرَت مجرى التَّفسير والبيان عُمِلَ بها، وإن لم يكن كذلك فإن عارضَها خَبرٌ مرفوعٌ قدم عَلَيْها أَوْ قِياسٌ ففي العمل بها قولان، فأنزلُوا قراءة الصَّحابة منزلة خبر الواحد". [١٣٠]

الشرط الخامس: أن تكون مشهورة في وقت الاحتجاج بها.

ويشترط لقبولها عند الحنفية خاصة أن تكون مشهورة في عصر الأئمة الذين استدلوا بها، وخاصة عندما يلزم من العمل بها الزيادة على القراءة المتواترة، لأن الزيادة على الكتاب في مرتبته نوع من النسخ، ولا يجوز نسخ المتواتر إلا بالمتواتر أو ما كان ملحقا به مثل الخبر المشهور عندهم. [١٣١]

وجوه تفسير القرآن الكريم بالقراءات الشاذة

تعتبر القراءات الشاذة من أهم وسائل التفسير عند المفسرين، ومن هنا تجد المفسرين يهتمون بها في كتبهم اهتماما كبيرا، ويفسرون بها القراءات المتواترة بوجوه عدة من توضيح غريب، وبيان مجمل، وتعيين معنى مشترك، وتخصيص عام، وتقييد مطلق، وغير ذلك من وجوه التفسير، ونتناول بعض أمثلة ذلك فيما يلي للتوضيح:

تقييد مطلق القرآن بالقراءة الشاذة

من وجوه تفسير القراءة المتواترة بالقراءة الشاذة تقييد مطلقها بها، ومثال ذلك في قوله تعالى: "وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس". [١٣٢] فإن المراد بالأخ والأخت المطلقين في الآية الأخ والأخت من أم في هذه الآية بالاتفاق وهكذا فسرتها القراءة الشاذة التي قرأ بها سعد بن أبي وقاص وأبي بن كعب، يقول الآلوسي: " وأخرج غير واحد عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يقرأ "وله أخ أو أخت من أم"، وعن أبيٍّ رضي الله عنه "من الأم"، وهذه القراءة وإن كانت شاذة إلا أن كثيرا من العلماء استند إليها بناء على أن الشاذ من القراءات إذا صح سنده كان كخبر الواحد في وجوب العمل به خلافا لبعضهم". [١٣٣]

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى :"السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما" فالأيدي هنا مطلقة، وقيدت بالأيمان في قراءة عبد الله بن مسعود الذي قرأ هذا الحرف "أيمانهما"، فالمراد بالأيدي في هذه الآية الأيمان كما وردت في القراءة المذكورة.

قال الجصاص :"قراءة عبد الله "فاقطعوا أيمانهما"، وروى ابن عوف عن إبراهيم في قراءتنا "فاقطعوا أيمانهما، قال أبو بكر(الجصاص) : لم تختلف الأمة في أن اليد المقطوعة بأول سرقة هي اليمين فعلمنا أن مراد الله تعالى بقوله : "أيديهما" أيمانهما".[١٣٤]

القراءة الشاذة ترفع الإشكال

وقد ترفع القراءة الشاذة الإشكال الذي يرد على ظاهر القراءة المتواترة، مثال ذلك في قوله تعالى :"يخادعون الله"، فإن القراءة المتواترة من باب المفاعلة، وهي تقتضي المشاركة، والخداع يستحيل عليه سبحانه بالمعنى الظاهر،[١٣٥] ومن هنا تجد المفسرين يؤولون هذه الكلمة بتأويلات مختلفة، ومن هذه التأويلات أن المفاعلة هنا بمعنى اللازم، والمعنى أنهم يعاملون الله سبحانه وتعالى معاملة الخادع بإظهار الإيمان وإبطان الكفر، أو أنهم يخدعون الله في زعمهم مع أنه يستحيل ذلك في نفس الأمر، فإنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السموات، ومن هنا يقول أبو حيان :" وخادع هنا إما لموافقة الفعل المجرد فيكون بمعنى خدع، وكأنه قال : يخدعون الله، ويبينه قراءة ابن مسعود وأبي حيوة".[١٣٦]

ونقل الإمام الرازي عن الزمخشري في «الكشاف» أنه قال :"وجهه أن يقال : عنى به فعلت إلا أنه أخرج في زنة فاعلت، لأن الزنة في أصلها للمبالغة، والفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ وأحكم منه إذا زاوله وحده من غير مغالب، لزيادة قوة الداعي إليه، ويعضده قراءة أبي حيوة «يخدعون الله»".[١٣٧]

ومن أمثلته أيضا قوله تعالى :"فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا" استشكلت الآية على ظاهرها، فإن الله سبحانه وتعالى من المؤمن به وليس له مثل، يقول النسفي في ذلك :"ظاهر الآية مشكل لأنه يوجب أن يكون لله تعالى مثل وتعالى عن ذلك".[١٣٨]ومن هنا تجد المفسرين يرفعون هذا الإشكال عن طريق تفسير هذه الآية بالقراءة الشاذة، بأن كلمة "مثل" صلة (زائدة"[١٣٩]) ومعنى الآية :"فإن آمنوا بما آمنتم به فقد اهتدوا، كما ورد في قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهما، وقد استشعر أبي بن كعب هذا الإشكال ولذلك فسر هذه الآية بما ذكرنا، يقول الآلوسي :"المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله، أي عليه،

ويشهد له قراءة أبيٍّ "بالذي آمنتم به" وقراءة ابن عباس "بما أمنتم به" وكان رضي الله تعالى عنه يقول: اقرءوا ذلك، فليس لله تعالى مثل، ولعل ذلك محمول على التفسير لا على أنه أنكر القراءة المتواترة وخفي عليه معناها".[١٤٠]

القراءة الشاذة تحدد معنى الآية

وقد ترد القراءة الشاذة لتحديد معنى الآية لئلا يفهم منها غير المعنى المراد، مثال ذلك في قوله تعالى: "فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع"، فقد أجمع الصحابة أنه ليس المراد بالسعي هنا الجري والعدو، ومن هنا فسروه بالمشي والمضي كما قرأ به عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود، وبه فسره ابن عباس رضي الله عنهما، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقرؤها فامضوا، ويقول: لو قرأتها "فاسعوا" لسعيت حتى يسقط ردائي.

قال الجصاص: يجوز أن يكون أراد التفسير لا نص القراءة، كما قال ابن مسعود للأعجمي الذي كان يلقنه "إن شجرة الزقوم طعام الأثيم"، فكان يقول: "طعام اليتيم" فلما أعياه قال له: طعام الفاجر، وإنما أراد إفهامه المعنى".[١٤١]

وهناك وجوه أخرى كثيرة لتفسير القرآن بالقراءات الشاذة تركتها مخافة التطويل، وتعتبر القراءات الشاذة من أهم وجوه ترجيح التفسير عند تعدد الأقوال في تأويل آية من الآيات، ويظهر ذلك بجلاء عند مراجعة كتب التفسير المعتمدة، والله ولي التوفيق.

هوامش

١. سورة الحجر :٩

٢. تنوعت مصطلحات القراء، ويشبه مصطلحهم ذلك تقسيم علماء الحديث لأحوال السند من السند العالي والنازل وغيره، فإنهم قسموا أحوال الإسناد إلى قراءة، ورواية، وطريق، ووجه، فالخلاف إن كان لأحد الأئمة السبعة أو العشرة أو نحوهم؛ واتفقت عليه الروايات والطرق عنه، فهو قراءة، وإن كان لراو عنه، فرواية، أو لمن بعده فنازلاً، فطريق، أو لا على هذه الصفة مما هو راجع إلى تخيير القارئ فيه، فوجه، والمراد بالاختلاف في الهيئة مثل الاختلاف في مقادير المد والإمالة وغيرها .

راجع الإتقان في علوم القران ٢٦٦/١ لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى ٩١١هـ، من منشورات رضي بيدار عزيزي، إيران، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

٣. الإتقان في علوم القرآن ٢١٩/١

٤. روح المعاني ج: ٧ ص: ١٠

٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ج:٢ ص: ١٠٧

٦. الإتقان ج: ٢ ص: ٤٧٨، وانظر روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ٦/١

٧. راجع البحر المحيط ٦/١. ٧

٨. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣/١.

٩. يقول البيضاوي في تفسيره ج: ١ ص: ١٠:"ولطالما أحدث نفسي بأن أصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين..ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزوة إلى الأئمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين"وانظر كذلك تفسير النسفي ج: ١ ص: ٣

١٠. تفسير الطبري ج: ١ ص: ١١٣

١١. تفسير البيضاوي ج: ١ ص: ١٥٤

١٢. راجع البرهان في علوم القرآن للزركشي ج: ٢ ص: ١٧٥، والتبيان في أقسام القرآن لابن القيم ج: ١ ص: ١١٧، فإنه يقول:"وتفسير القرآن بالقرآن من أبلغ التفاسير"، ومقدمة تفسير ابن كثير ج: ١ ص: ٤، وكتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ج: ١٣ ص: ٣٦٣.

١٣. راجع المقدمة السادسة لتفسير التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور ٥١/١

١٤. سورة البقرة: ١٠٦

١٥. راجع "البدور الزاهرة" للشيخ عبد الفتاح القاضي ص:٣٦، طبع مصطفى البابي الحلبي بمصر عام ١٩٥٥م.

١٦. راجع "زاد المسير" لابن الجوزي ج:١ ص: ١٢٨، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، عام ١٩٦٤م.

١٧. راجع تفسير مفاتيح الغيب للرازي ج:٣ ص:٢٠٩، طبع دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨. سورة الزخرف: ٥٧

١٩. قرأ أبو بكر وابن عامر "يعرشون" بضم الراء في سورة الأعراف الآية رقم ٧، وفي سورة النحل الآية رقم: ٦٨، وقرأ الآخرون بكسرها. راجع تفسير البغوي ج: ٢ ص: ١٩٤

٢٠. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر ويعقوب"يعكفون" بضم الكاف، وقرأ حمزة والكسائي والمفضل بكسر الكاف. راجع زاد المسير ج: ٣ ص: ٢٥٤.

٢١. راجع تفسير القرطبي ج:١٦ص: ١٠٣، وتفسير البغوي ج: ٤ ص: ١٤٣، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن

٢٢. سورة الأعراف:٢٦

٢٣. راجع الكشاف للزمخشري ج:٢ ص:٩٧، بدون تفاصيل الطبع،وزاد المسير لابن الجوزي ج:٣ ص: ١٨٢، وفتح القدير للشوكاني ج:٢ ص:١٩٧، والبحر المحيط لأبي حيان ج:٤ ص: ٢٨٣، طبع دار الفكر بيروت، عام ١٩٨٣، الطبعة الثانية، وقد ذكر وجوها أخرى للإعراب وأوهاها.

٢٤. سورة النساء: ٤٣.

٢٥. سورة المائدة: ٦.

٢٦. سراج القاري صفحة ١٩٢. وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٢٣/٥.

٢٧. أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص الرازي ٣٧٢/٢. وانظر أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي ٥٦٤/١، وانظر أحكام القرآن لالكياالهراسي ٤٦٤/١.

٢٨. البرهان في علوم القرآن ج: ١ ص: ٣٢٦، والإتقان ج: ١ ص: ٢١٨

٢٩. أحكام القرآن للجصاص الرازي ج: ٣ ص: ٣٥١

٣٠. تفسير القرطبي ج: ٣ ص: ٨٩

٣١. دقائق التفسير لابن تيمية ج: ٢ ص: ٢٦

٣٢. راجع البرهان في علوم القرآن ج: ٢ ص: ٥٢

٣٣. سورة يوسف ١١٠

٣٤. راجع زاد المسير ج: ٤ ص: ٢٩٦، وتفسير البغوي ج: ٢ ص: ٤٥٥، وتفسير أبي السعود ج: ٤ ص: ٣١٠، و تفسير القرطبي ج: ٩ ص: ٢٧٥، و تفسير الطبري ج: ١٣ ص: ٨٢.

٣٥. راجع لذلك على سبيل المثال تفسير الطبري ج: ١ ص: ٣٩٦ تحت تفسير قوله تعالى"وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان" وتفسير القرطبي ج: ١ ص: ٣٩٤، تحت قوله تعالى"وإذ واعدنا موسى ..". وج: ٢ ص: ٦٧ تحت تفسير قوله تعالى"ما ننسخ من آية."

٣٦. روح المعاني للآلوسي ج: ٢ ص: ١٢٢

٣٧. راجع غيث النفع للصفاقسي ص: ١٦ على هامش سراج القارئ، وهذا هو التقسيم الصحيح، وقسمها البعض إلى ثلاثة أقسام: المتواتر، والمشهور والشاذ، وقسمها السيوطي إلى ستة أنواع: المتواتر، المشهور، الآحاد، الشاذ، الموضوع، ما يشبه الحديث المدرج وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير. راجع الإتقان ٢٦٤/١. ٢٦٥ .

٣٨. و المراد بالقراءات السبع قراءات القرّاء السبعة المعروفين رحمهم الله التالية أسماؤهم:١ ـ ابن عامر: اسمه عبد الله اليحصُبي ويكنى أبا نعيم، وأبا عمران. وهو تابعي جليل.٢ ـ ابن كثير: هو أبو محمد، أو أبو معبد، عبد الله بن كثير الداري. كان إمام الناس في القراءة بمكة، توفي سنة ١٢٠ عشرين ومائة بمكة المكرمة.٣ ـ عاصم: هو أبو بكر عاصم بن أبي النَّجود الأسدي، توفي بالكوفة أو بالسماوة سنة ١٢٧ سبع وعشرين ومائة.٤ ـ أبو عمرو: هو أبو عمرو زَبَّان بن العلاء بن عمار البصري، توفي سنة ١٥٤ أربع وخمسين ومائة.٥ ـ حمزة: هو أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي مولى عكرمة بن ربيع التيمي، توفي بحلوان سنة ١٥٦ ست وخمسين ومائة.٦ ـ نافع: هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني، توفي سنة ١٦٩ تسع وستين ومائة.٧ ـ الكسائي: هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي النحوي لقب بالكسائي لأنه كان في الإحرام لابساً كِساءً، توفي سنة ١٨٩ تسع وثمانين ومائة.

٣٩. والمراد بالقراءات الثلاث قراءات الأئمة التالية أسماؤهم: ١ ـ أبو جعفر: هو يزيد بن القعقاع القاري، نسبة إلى موضع بالمدينة يسمى: قارا، توفي أبو جعفر سنة ١٣٠ ثلاثين ومائة، ٢ ـ يعقوب: هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي، توفي يعقوب سنة ٢٠٥ خمس ومائتين، ٣ ـ خلف: هو

أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف بن ثعلب، وتوفي خلف سنة ٢٢٩ تسع وعشرين ومائتين. انظر لتراجمهم "تحبير التيسر في قراءات الأئمة العشرة" للشيخ محمد بن محمد بن علي ابن يوسف الجزري المتوفى عام ٨٣٣هـ، طبع دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى عام: ١٩٨٣م. و"مناهل العرفان" للزرقاني ٤٠٦/١. و"إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر" للدمياطي الشهير بالبناء ص: ٧.

٤٠. المراد بالفرش الجزئيات التي يقع الخلاف في قراءتها، ولا يقاس عليها، كقراءة "يخدعون" في سورة البقرة لا يقاس عليها ما جاء في سورة النساء من كلمة "يخادعون الله"، مع أن الخلاف وقع في قراءة الأولى، والمراد بالأصول الكليات التي تندرج تحتها جميع الجزئيات المتماثلة، كقواعد المد والهمز والإمالة.

٤١. كما يقول الشيخ محمد زاهد الكوثري في مقالاته" قراءات الأئمة السبعة كلها متواترة إلا في مواضع يسيرة، بينها أهل الصناعة" ص: ٢٠، طبع إيج - ايم سعيد كمبني، كراتشي - باكستان بدون تاريخ.

٤٢. فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت للأنصاري ١٥/٢- ١٦. والمستصفى للإمام أبي حامد الغزالي ١٠١/١، والتقرير والتحبير لابن أمير الحاج ج: ٢ ص: ٢٩٠.

٤٣. النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٩٥/١.

٤٤. هو القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الإمام أبو محمد وأبو القاسم الرعيني الشاطبي المقرئ الضرير أحد الأعلام، ولد في آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ..واستوطن مصر، واشتهر اسمه وبعد صيته..وتوفي بمصر في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة". راجع معرفة القراء الكبار للذهبي ج: ٢ ص: ٥٧٣. وهو غير إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشاطبي الأصولي المتوفى عام ٧٩٠هـ صاحب "الموافقات."

٤٥. النشر في القراءات العشر للشيخ محمد بن الجزري ١٠٦/١- ١٠٧.

٤٦. منجد المقرئين لابن الجزري من ص: ١٩- ٤٤

٤٧. انظر مقالات الكوثري ص ٦- ٧ وقد ورد مثل هذا الكلام في أكثر من موضع.

٤٨. سورة الإسراء: ١٦

٤٩. القراءتان المذكورتان هما متواترتان، وقد وردت قراءات أخرى في الآية مثل"أمّرنا" بتشديد الميم إلا أنها شاذة، راجع النشر في القراءات العشر.

٥٠. انظر في مثل هذا الإشكال أحكام القرآن للجصاص الرازي ج: ٥ ص: ١٨، وراجع للاعتراض على التفسير الذي يقول أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها وأنه لا يصلح عند بعض المفسرين "الكشاف" للزمخشري و"روح المعاني" للآلوسي ج: ١٥ ص: ٤٣

٥١. رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات، راجع مجمع الزوائد ج: ٥ ص: ٢٥٨، والمراد بالسكة المأبورة الطريقة المصطفة من النخل، ويقصد النبي صلى الله عليه وسلم أن خير المال النتاج والزرع.

٥٢. راجع تفسير البغوي ج: ٣ ص: ١٠٩، وروح المعاني ج: ١٥ ص: ٤٤، وراجع تفسير الطبري ج: ١٥ ص: ٥٥

٥٣. راجع تفسير القرطبي ج: ٢ ص: ٢٨٧ ، وقال الثعالبي في الجواهر الحسان: «طَعَامُ مِسْكِينٍ»: بالإفراد، وهي قراءة حَسَنَةٌ؛ لأنها بيَّنت الحكم في اليوم."

٥٤. سورة النور: ٤

٥٥. سورة الحجر: ١٥

٥٦. زاد المسير ج: ٤ ص: ٣٨٦

٥٧. روح المعاني ج: ١٤ ص: ٢٠

٥٨. تفسير البيضاوي ج: ٣ ص: ٣٦٤

٥٩. تفسير أبي السعود ج: ٥ ص: ٧٠

٦٠. حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي ١٤٩/٣.

٦١. راجع زاد المسير ج: ٤ ص: ٣٨٦

٦٢. راجع روح المعاني ج: ١٤ ص: ٢٠

٦٣. سورة المائدة: ٨٩

٦٤. راجع تفسير البغوي ج: ٢ ص: ٦٠، و زاد المسير ج: ٢ ص: ٤١٢

٦٥. روح المعاني ج: ٧ ص: ١٠

٦٦. البحر المحيط لأبي حيان ج:٤ ص:٩.

٦٧. راجع مفاتيح الغيب للرازي ج:١٢ ص:٦٢.

٦٨. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ج:٢ ص:١٠٧

٦٩. غيث النفع للصفاقسي ص:١٨ ومنجد المقرئين ص:١٦

٧٠. قال عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره: عبد الرزاق عن ابن عيينة عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة أنه قدم الشام فأتاهم أبو الدرداء، فقال: هل فيكم أحد يقرأ كما كان عبد الله بن مسعود يقرأ؟ قالوا نعم، فقالوا لعلقمة: اقرأ علينا، فقرأ "والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى" فقال أبو الدرداء أأنت سمعت هذا من عبد الله بن مسعود؟ فقال: نعم، فقال أبو الدرداء: والله لسمعتها من رسول الله ولكن هؤلاء لا يعلمون .

تفسير القرآن ج: ٣ ص: ٣٧٧ لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، المتوفى عام ٢١١هـ، الطبعة الأولى، عام ١٤١٠هـ، طبع مكتبة الرشد، الرياض، تحقيق: مصطفى مسلم محمد.

وقال في الدر المنثور ج: ٨ ص: ٥٣٤ لجلال الدين السيوطي المتوفى عام ٩١١هـ، طبع دار الفكر، بيروت - لبنان عام ١٩٩٣م.

وأخرج ابن جرير عن أبي إسحاق، قال: في قراءة عبد الله"والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى."

٧١. سورة الليل: ٢

٧٢. روى الثعالبي عن سعيد أنه قال: كان ابن عباس يقرأ "وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا"، وكان يقرأ "وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين". راجع الجواهر الحسان في تفسير القرآن ج: ٢ ص: ٣٩١ لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، طبع مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

وانظر الدر المنثور للسيوطي ج: ٥ ص: ٤١١. ومثل ذلك ورد في"سفينة صالحة" عن أبي بن كعب، انظر تفسير الطبري ج: ١٥ ص: ٢٨٠.

٧٣. قراءة شاذة في سورة الكهف: ٧٩- ٨٠

٧٤. محمد بن السميفع اليماني أحد القراء، له قراءة شاذة منقطعة السند، قاله أبو عمرو الداني وغيره، روى عنه أخباره إسماعيل بن مسلم المكي ذاك الواهي، وهنا خبط آخر وهو أن محمد بن السميفع ذكر أنه أصحهما على نافع بن أبي نعيم وعلى أبي حيوة وشريح بن يزيد.

وذكر سبط الخياط أن وفاة ابن السميفع في سنة تسعين في خلافة الوليد بن عبدالملك، فانظر إلى هذا البلاء، ثم ساق بإسناده إلى محبوب بن الحسن البصري وعبد الوهاب بن عطاء قالا حدثنا إسماعيل بن مسلم المكي عن اليماني بالحروف."

ميزان الاعتدال في نقد الرجال ج: ٦ ص: ١٧٩، للإمام الذهبي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، عام ١٩٩٥م، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود.

٧٥. أبو السمال العدوي المقرئ بصري، له حروف شاذة لا يعتمد على نقله، ولا يوثق به اسمه معتب بن هلال". ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ج: ٧ ص: ٣٧٨.

٧٦. سورة يونس: ٩٢

٧٧. هو أبو الفضل محمد بن جعفر بن عبد الكريم الجرجاني المقرئ يعرف بالخزاعي، رحل إلى العراق والشام ومصر وفارس وأصبهان وخراسان، صنف كتبا في القراءات، روى عن أبي بكر القطيعي والحسن بن سعيد المطوعي وأبي علي بن حبش وأبي بكر الشذائي وجماعة من القراء، مات بآمل سنة ثمان وأربعمائة ودفن بها."

راجع تاريخ جرجان ص:٤٥٨ لأبي القاسم حمزة بن يوسف الجرجاني المتوفى ٣٤٥هـ، الطبعة الثالثة عالم الكتب، بيروت، عام ١٩٨١م، تحقيق: محمد عبد المعيد خان.

٧٨. أبو القاسم الهذلي المقرئ الجوال أحد من طوف الدنيا في طلب القراءات واسمه يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سوادة المغربي البسكري، وبسكرة بليدة بالمغرب ورحل من أقصى المغرب إلى بلاد الترك وكانت رحلته في سنة خمس وعشرين وأربعمائة وبعدها...

قال الذهبي: بلغني أنه مات في سنة خمس وستين وأربعمائة، سامحه الله تعالى وله أغاليط كثيرة في أسانيد القراءات، وحشد في كتابه أشياء منكرة لا تحل القراءة بها، و لا يصح لها إسناد". معرفة القراء الكبار للذهبي ج: ١ ص: ٤٢٩

٧٩. محمد بن علي بن أحمد بن يعقوب بن مروان أبو العلاء الواسطي وأصله من فم الصلح، سمع الحديث وقرأ القراءات ورواها، وقد تكلموا في روايته في القراءات والحديث، فالله أعلم، توفي في جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة وقد جاوز الثمانين". البداية والنهاية لابن كثير ج: ١٢ ص: ٤٧.

٨٠. يقول شيخنا الأستاذ الدكتور عبد الغفور مصطفى إن نسبة الوضع إلى الخزاعي غير صحيحة، فإنه غير متهم بالوضع، بل هو ثقة، وقد يكون غيره في السند هو المتهم بوضعه، سمعته يقول ذلك.

٨١. -النشر في القراءات العشر ، للإمام ابن الجزري ١٤/١.

٨٢. النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٦٢/١

٨٣. في سورة الأعراف: ١٠ و في سورة الحجر: ٢٠

٨٤. سورة القصص: ٤٨

٨٥. انظر للتفصيل: النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٦٣/١، والإتقان للإمام السيوطي ٢٥٨/١ – ٢٨١.

٨٦. البرهان في أصول الفقه للجويني ج: ١ ص: ٤٢٧.

٨٧. الإحكام للآمدي ج: ١ ص: ٢١٢

٨٨. في شرح قوله في حديث عائشة فأملت على، "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر"، هكذا هو في الروايات وصلاة العصر بالواو. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٣٠/٥- ١٣١

٨٩. هو عبد الرحيم بن أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن أبو نصر القشيري النيسابوري، قال عبد الغافر هو إمام الأئمة وحبر الأمة وبحر العلوم، رباه والده، واعتنى به حتى برع في النظم والنثر واستوفى الحظ الأوفى من علم التفسير والأصول، ثم لازم إمام الحرمين حتى أحكم عليه المذهب والخلاف والأصول...

ومن العجائب أنه اعتقل لسانه في آخر عمره عن الكلام إلا عن الذكر، فكان يتكلم بآي القرآن، مات في جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وخمسمائة وهو في عشر الثمانين ."

راجع طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنروي ص: ٦٥ طبع مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، عام ١٩٩٧م، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي.

٩٠. راجع المستصفى للإمام أبي حامد الغزالي ج: ١ ص: ٨١.

٩١. المنخول ص:٢٨١- ٢٨٢، للإمام أبي حامد محمد الغزالي، دار الفكر، دمشق، عام ١٤٠٠هـ، تحقيق: محمد حسن هيتو.

٩٢. قال الدمشقي: وفي سنة تسع وثمانين وأربعمائة توفي الإمام العلامة أبو المظفر السمعاني منصور بن محمد التميمي المروزي الحنفي ثم الشافعي. تفقه على والده وغيره، وكان إمام وقته في مذهب

أبي حنيفة، فلما حج ظهر له بالحجاز ما اقتضى انتقاله إلى مذهب الشافعي، ولما عاد إلى مرو لقي أذى عظيما بسبب انتقاله.

وصنف في مذهب الشافعي كتبا كثيرة، وصنف في الرد على المخالفين، وله الطبقات أجاد فيه وأحسن، وله تفسير جيد حسن، وجمع في الحديث ألف جزء عن مائة شيخ، وسمعان بطن من تميم ويجوز كسر السين". شذرات الذهب للدمشقي ج: ٢ ص: ٣٩٣

٩٣. يقول ابن السمعاني: هذه مسألة تتصل بالأخبار، وهى ما يشتمل على القراءة الشاذة من الحكم، هل تكون القراءة الشاذة حجة فيه؟ اعلم أن ظاهر مذهب الشافعي رحمه الله أن القراءة الشاذة التي لم تنقل تواترا لا يسوغ الاحتجاج بها، ولا الخبر الواحد، ولهذا نقول إن التتابع لا يجب في صيام الكفارة وإن كان قد وجد في القراءة الشاذة المنسوبة إلى ابن مسعود رضي الله عنه، "فصيام ثلاثة أيام متتابعات". قواطع الأدلة في الأصول ج: ١ ص: ٤١٤ لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني المتوفى ٤٨٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان عام ١٩٩٧م، تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي

٩٤. نقله عنه الزركشي في البحر المحيط في أصول الفقه ٤٧٥/١

٩٥. نقله الاسنوي في التمهيد ج: ١ ص: ١٤١- ١٤٣، لأبي محمد عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي المتوفى ٧٧٢هـ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٠م، تحقيق: د. محمد حسن هيتو.

٩٦. أحكام القرآن لابن العربي ٥٩٦/٣.

٩٧. أحكام القرآن لابن العربي ١١٣/١.

٩٨. راجع البحر المحيط في أصول الفقه للإمام بدرالدين الزركشي ٤٧٨/١.

٩٩. -انظر المستصفى للإمام الغزالي ١٠٢/١.

١٠٠. البرهان في أصول الفقه للإمام الجو يني ٤٢٧/١

١٠١. هو أحمد بن محمد بن أحمد الشيخ الإمام أبو حامد بن أبي طاهر الأسفراييني شيخ الشافعية بالعراق ولد سنة أربع وأربعين وثلاثمائة ... وشرح المختصر في تعليقته التي هي في خمسين مجلدا... وله كتاب في أصول الفقه... توفي في شوال سنة ست وأربعمائة، ودفن في داره ثم نقل في سنة عشر وأربعمائة إلى باب حرب". طبقات الشافعية للقاضي أبي بكر بن شهبة ج: ٢ ص: ١٧٢.

١٠٢. القاضي حسين رحمه الله هو الإمام المحقق القاضي حسين أبو علي بن محمد بن أحمد المروروذي من كبار أصحاب القفال قال الرافعي في التهذيب إنه كان غواصا في الدقائق من أصحاب الفرايماني، وكان يلقب بحبر الأئمة، توفي رحمه الله بعد صلاة العشاء ليلة الأربعاء الثالث والعشرين من شهر الله المحرم سنة اثنتين وستين وأربعمائة". طبقات الفقهاء للشيرازي ص: ٢٣٤

١٠٣. الإمام الرافعي أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل بن الحسين بن الحسن الإمام العلامة إمام الدين الشافعي صاحب الشرح المشهور الكبير على المحرر وصاحب الوجيز انتهت إليه معرفة المذهب ودقائقه توفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة ". شذرات الذهب للدمشقي ج: ٣ ص: ١٠٨

١٠٤. عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد بن أحمد قاضي القضاة فخر الإسلام أبو المحاسن الروياني الطبري صاحب البحر وغيره... قال ابن خلكان: وأخذ الفقه عن ناصر العمري، وعلق عنه، وبرع في المذهب حتى كان يقول لو احترقت كتب الشافعي لأمليتها من حفظي، ولهذا كان يقال له شافعي زمانه، وولي قضاء طبرستان، وبنى مدرسة بآمل وكان فيه إيثار للقاصدين إليه. ولد في ذي الحجة سنة خمس عشرة وأربعمائة، واستشهد بجامع آمل عند ارتفاع النهار بعد فراغه من الإملاء يوم الجمعة حادي عشر المحرم سنة اثنتين وقيل سنة إحدى وخمسمائة، قتلته الباطنية لعنهم الله تعالى. طبقات الشافعية لابن شهبة ج: ٢ ص: ٢٨٧

١٠٥. طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر القاضي العلامة أبو الطيب الطبري، من آمل طبرستان أحد أئمة المذهب الشافعي وشيوخه والمشاهير الكبار، ولد بآمل طبرستان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ...وتوفي ببغداد في ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة ودفن بباب حرب ومن تصانيفه التعليق نحو عشر مجلدات وهو كتاب جليل والمجرد وشرح الفروع". طبقات الشافعية لابن شهبة ج: ٢ ص: ٢٢٦

١٠٦. انظر البحر المحيط في أصول الفقه للإمام بدر الدين الزركشي ١/ ٤٧٨

١٠٧. الإقناع للخطيب الشربيني ٥٣٩/٢

١٠٨. سورة المائدة: ٣٨

١٠٩. الإقناع للخطيب الشربيني ٦٠٦/٢

١١٠. حاشية البجيرمي ٢٥١/٣

١١١. فتح الوهاب ٢٨٣/٢ لأبي يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المتوفى ٩٢٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، .

١١٢. ويظهر أنهم أضافوا اشتراط الشهرة لتصحيح أصلهم في عدم جواز الزيادة على الكتاب بخبر الواحد. وليخرجوا من ورطة الاستدلال ببعض القراءات دون بعضها، والله أعلم.

١١٣. الفصول في الأصول ج: ١ ص: ١٩٩، والإتقان للسيوطي ٢٨٠/١.

١١٤. انظر المبسوط للسرخسي ٧٥/٣.

١١٥. -راجع أحكام القرآن للجصاص ٢٠٨/١.

١١٦. انظر فواتح الرحموت لعبد العلي الأنصاري ١٦/٢

١١٧. البرهان في علوم القرآن ج: ١ ص: ٣٣٦، و الإتقان ج: ١ ص: ٢١٩

١١٨. تفسير القرطبي ج: ١ ص: ٤٧

١١٩. -راجع التحبير في علوم القرآن للسيوطي ، وروح المعاني للآلوسي ج: ٤ ص: ٢٣٠

١٢٠. النشر في القراءات العشر لابن الجزري

١٢١. تفسير القرطبي ج: ٤ ص: ٤٣.

١٢٢. الشرح: ٧

١٢٣. البحر المحيط لأبي حيان ج:٨ ص:٤٨٩، والمحرر الوجيز لابن عطية ج: ١٥ص:٥٠٠، طبع على نفقة أمير دولة قطر، بتحقيق السيد عبد العال السيد إبراهيم.

١٢٤. سورة البقرة: ١٢٦

١٢٥. تفسير الثعالبي ج: ١ ص: ١٠٧، و تفسير ابن كثير ج: ١ ص: ١٧٦

١٢٦. سورة البقرة:٦١

١٢٧. تفسير الطبري ج: ١ ص: ٣١٣، تفسير ابن كثير ج: ١ ص: ١٠٢

١٢٨. قراءة في سورة البقرة: ١٥٨

١٢٩. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي، ذكر ذلك في سورة الحج ولم يتعرض لتفسير الآية في موضعها، راجع ج:٥ ص:٢٤٨

١٣٠. نقله عنه في التحبير وإن رد عليه في بعض ما نقله عنه لكن هذه الفكرة ليست مما نقدها السيوطي.

١٣١. راجع الفصول في الأصول ج: ١ ص: ١٩٩، والإتقان للسيوطي ٢٨٠/١، وانظر المبسوط للسرخسي ٧٥/٣.

١٣٢. سورة النساء:١٢

١٣٣. روح المعاني ج: ٤ ص: ٢٣٠، وانظر تفسير البغوي ج: ١ ص: ٤٠٤، وفتح القدير ج: ١ ص: ٤٣٦، تفسير البيضاوي ج: ٢ ص: ١٥٧

١٣٤. أحكام القرآن ج: ٤ ص: ٦٢

١٣٥. راجع لتقرير هذا الإشكال تفسير الرازي ج:١ ص:٥٧، والكشاف للزمخشري ج:١ ص:٥٦.

١٣٦. البحر المحيط لأبي حيان ج:١ ص:٥٦.

١٣٧. راجع تفسير الرازي ج:١ ص:٥٧، والكشاف للزمخشري ج:١ ص:٥٨.

١٣٨. تفسير النسفي ج: ١ ص: ٧٣

١٣٩. لا يستخدم المفسرون كلمة "زائدة" إلا نادرا تأدبا مع القرآن الكريم كما أشار إلى ذلك بعضهم.

١٤٠. روح المعاني ج: ١ ص: ٣٩٦، وراجع تفسير البغوي ج: ١ ص: ١٢٠

١٤١. أحكام القرآن ٢ ج: ٥ ص: ٣٣٧

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، للشيخ أحمد بن محمد الدمياطي الشهير بالبناء الشافعي، ص:٥، طبع مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، مصر.

٣- الإتقان في علوم القران، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى ٩١١هـ، من منشورات رضي بيدار عزيزي، إيران، تاريخ الطبع ١٣٦٣هـ ش، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

٤- أحكام القرآن، لابن العربي دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى عام ١٩٨٨م بتحقيق: محمد عبد القادر عطا.

٥- أحكام القرآن، لالكيا الهراسي الطبعة الثانية عام ١٩٨٥م دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٦- أحكام القرآن، للجصاص طبعة سهيل أكاديمي بلاهور، باكستان عام ١٩٩١م.

٧- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لمحمد بن محمد العمادي أبي السعود، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ الطبع.

٨- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، طبعة مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.

٩- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، طبع دار الفكر عام ١٩٩٦م، تحقيق عبد القادر عرفات العشا حسونة، بيروت، لبنان.

١٠- البحر المحيط لأبي حيان، طبع دار الفكر بيروت، عام ١٩٨٣، الطبعة الثانية.

١١- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، للشيخ عبد الفتاح القاضي، مكتبة الدار بالمدينة المنورة.

١٢- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، طبع دار المعرفة، بيروت، عام ١٣٩١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٣- التبيان في أقسام القرآن لابن القيم، طبع دار الفكر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

١٤- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري المتوفى عام ٣١٠هـ، طبع دار الفكر، بيروت، لبنان.

١٥- حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، بدون تاريخ الطبع.

١٦- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية جمع د.محمد السيد الجليند، طبع مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة الثانية عام ١٤٠٤هـ عدد المجلدات:٦.

١٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل محمود الآلوسي المتوفى

١٢٧٠هـ، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبع.
١٨- زاد المسير لابن الجوزي، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، عام ١٩٦٤م.
١٩- الغريب، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي المتوفى ٢٢٤هـ، طبع دار الكتاب العربي، بيروت، تحقيق: د. عبد المعيد خان.
٢٠- غيث النفع في القراءات السبع، للشيخ علي النوري الصفا قسي على هامش سراج القاري، طبع مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، بدون تاريخ الطبع.
٢١- الفصول في الأصول لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص المتوفى عام ٣٧٠هـ، طبع وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الثانية عام ١٩٩٤م، تحقيق: د. عجيل جاسم النشمي.
٢٢- القاموس المحيط للفيروز آبادي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، شارع سوريا، عام ١٩٨٧م.
٢٣- المحرر الوجيز لابن عطية، طبع على نفقة أمير دولة قطر، بتحقيق السيد عبد العال السيد إبراهيم.
٢٤- معالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، طبع دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية عام ١٩٨٧م، تحقيق: خالد العك، ومحمد سوار.
٢٥- مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٦- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، لأحمد مصطفى طاش كبرى زادة، طبع دار الكتب الحديثة، مصر، بدون تاريخ، تحقيق: كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور.
٢٧- مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني طبع دار الفكر، بيروت، عام ١٩٩٦م.
٢٨- منجد المقرئين، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري الدمشقي الشافعي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، راجعه أحمد محمد شاكر ومحمد حبيب الله الشنقيطي.
٢٩- النشر في القراءات العشر، للإمام شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف المعروف بابن الجزري الدمشقي الشافعي، طبع مكتبة القاهرة، بمصر، بدون تاريخ الطبع، تحقيق: الشيخ محمد سالم محيسن.
٣٠- النهاية في غريب الحديث، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المتوفى عام ٦٠٦هـ، طبع المكتبة العلمية، بيروت، لبنان عام ١٩٧٩م تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي.